دور الإعجاز العلمي في الرد على القراءات الحداثية "ظاهرة الوحي أنموذجاً"

The Role of Scientific Miracles in Responding to Modernist Readings "The phenomenon of revelation as a model"

https://aif-doi.org/AJHSS/106904

إعداد الباحثة
صفية علي شعيل القحطاني*

* ماجستير (عقيدة ومذاهب معاصرة)

2023- 1444م

الملخص:

هدف البحث: هدف البحث إلى إظهار إعجاز الوحي النبوي في كل زمان ومكان، والرد على الفكر الحداثي الذي يحاول إلغاء قداسة الوحي في نفوس المسلمين.

منهجية البحث: المنهج الوصفي، التحليلي، النقدي.

النتائج: يعالج البحث قضية الفكر الحداثي الغربي الذي ترك أثراً كبير في الفكر العربي، وأصبح له موقفاً لا يخفى على أحد من الوحي (القرآن والسنة)، حيث يسعون إلى نزع القداسة عنه، واعتباره مصدراً بشرياً تنطبق عليه منهجية النقد وإعادة النظر، ومقارنة بالنتاج البشري من شعر وكهانة متناسين ما خصه الله تعالى من وسائل الحفظ والعناية، وما احتواه من إعجاز في ألفاظه ومحتواه، اعجز معاصريه و تزال الأبحاث العملية التي يتوصل إليه الإنسان تثبت صحة كل ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد مثلت هذه الأبحاث رداً علمياً قوياً على دعاة الفكر الحداثي العربي الذي عميت أبصارهم وغلفت قلوبهم عن إدراك الحقائق الجلية الواضحة.

الكلمات المفتاحية: الحداثة- الوحي- الإعجاز.

Abstract :

Research objective: The research aims to show the miraculousness of the prophetic revelation in every time and place, and to respond to the modernist thought that tries to abolish the sanctity of revelation in the hearts of Muslims.

Results:The research deals with the issue of Western modernist thought, which left a great impact on Arab thought, and has become a well-known position on the revelation (the Qur'an and Sunnah), as they seek to de-sanctify it, and consider it a human source to which the methodology of criticism and reconsideration applies, and compared to the human production of poetry. As a fortune-telling, forgetting what God

ISSN : 2410-1818

Almighty singled out for the means of preserving and caring, and the miracles they contained in its words and content, the most incapable of his contemporaries. The Arab modernist whose eyes were blinded and their hearts closed from realizing the obvious and clear facts.

Research methodology: descriptive, analytical, critical approach.

المقدمة:

إن القارئ لكتاب الله عز وجل، يلاحظ بوضوح تام ما يميز هذا الكتاب العظيم من ناحية الأسلوبِ والبلاغة والتصريف والتنويع، فقد أنزل الله سبحانهُ كتابهُ هذا، في شموليةٍ وإعجازٍ كبيرين، فقرآننا هذا قادرٌ على مخاطبة جميع البشر، على اختلاف أجناسهم، وأمكنتهم، ومللهم، فتتجلى بذلك بلاغة هذا الكتاب وتميزهِ عن باقي الخطابات البشرية العاجزة عن مخاطبة جميع الجوانب الإنسانية العقلية والعاطفية ولجميع البشر على اختلافهم.

إلا أن المستغرب من بعض البشر اليوم هو عدم رؤيتهم لهذا الوضوح، أو مناقشته بأساليبٍ ركيكة من خلال إلباسها ثوب العلم أو العقل أو الحداثة، يقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ١٧١﴾[البقرة:171]

ومن تلك المجموعات ما يُطلق عليهم اليوم وصف (الحداثيون)، الذين يحاول بعضٌ منهم وللأسف التصدي للخطاب القرآني والنص الشرعي، باستخدام مجموعة من المغالطات المستمرة، التي يحاولون من خلالها الإساءة للقرآن الكريم والعياذ بالله، يقول الله تعالى في سورة الحجر:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[الحِجر:9]

وعلى ذلك يحاول البحث بعون الله تعالى، إثراء الجانب المعرفي من خلال التطرق لتوصيف هذه الجماعة، وتبيان موقفهم من النص الشرعي عموماً، ومن ظاهرة الوحي خصوصاً، كونها جزء رئيس من هذا البحث.

- **مشكلة البحث:**

تكمن مشكلة البحث في السعي للإجابة عن التساؤلات القائمة عن ما يُطلق عليهم اليوم (الحداثيون)، وعن قراءاتهم للقرآن الكريم، وموقفهم منه، لا سميا الظاهرة الموضوعة كنموذج بحثي والمتمثلة بالوحي، ودور الإعجاز العلمي في الرد على تلك التأويلات.

ISSN : 2410-1818

- **تساؤلات البحث:**

1. من هم الحداثيون؟ وما هي الحركة الحداثية وملامحها؟
2. ما هو موقف الحداثيين من ظاهرة الوحي والإعجاز العلمي؟
3. ما هو الإعجاز العلمي لظاهرة الوحي؟

- **أهمية البحث:**

تكمن أهمية البحث في أنه يحاول التطرق لجانب من قضية متشعبة غاية في الخطورة قد تكون ذات تأثير فكري وعقائدي سلبي على الأجيال والمجتمعات المعاصرة, وهي قضية التفسير الحداثي للقرآن الكريم وما تحويه من مغالطات عموماً وتلك المتعلقة بظاهرة الوحي خصوصاً كونها ظاهرة محورية تمس كافة جوانب ديننا الإسلامي الحنيف.

- **أهداف البحث:**

1. تبيان الحركة الحداثية وملامحها.
2. تبيان موقف الحداثيين من ظاهرة الوحي.
3. عرض أحد أساليب الرد على مغالطات الحداثيين من خلال الإعجاز العلمي.

- **منهج البحث:**

اعتمدت على المنهج الوصفي لبيان المشكلة، والتحليلي النقدي في بيان المواقف الحداثية ونقدها في ضوء الإعجاز العلمي لنصوص الوحي.

- **الدراسات السابقة:**

- **(الوحي القرآني في منظور القراءة الحداثية) - يحيى مصلح علي المسقري-كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية – جامعة قطر- ماجستير-** 1438هـ- 2017م، تناول الباحث نظرة الفكر الحداثي للقرآن الكريم وإسقاط التصورات الغربية الحداثية على نصوص الوحي المقدس، لكنه لم يتناول الرد على تلك الأفكار الحداثية ونقدها في ضوء ما تميز به القرآن الكريم من إعجاز يتجاوز الأزمنة والحدود العقلية، وهذا ما سوف أحاول طرحه.

- **(الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن: ظاهرة الوحي إنموذجاً)** - إيمان العزاوي, 2016, المنشورة في دراسات علوم الشريعة والقانون, مجلد 43, عدد1, تطرقت الباحثة للتيارات الفكرية الحداثية وتاريخها وأطوار نشأتها, وصولاً لنماذج معاصرة من المفكرين الحداثيين أمثال (حسن حنفي, ومحمد أركون, وغيرهم), وطرحت أفكارهم ومواقفهم من ظاهرة الوحي بناءً على عدة كتب ومؤلفات لهم, ثم بينت بعد ذلك ردود ونقاشات بعض علماء الأمة على ما جاؤوا به, وانتهت بجملة من المقترحات والتوصيات كان أبرزها الدعوة لصياغة استراتيجية إسلامية موحدة بهدف الرد على مجمل

ISSN : 2410-1818

الأفكار الهدامة, وفضح اتجاهات الفكر الحداثي ودوافعه السياسية الرامية لترويج أفكار التعصب والعنف.

وقد حققت الدراسة سالفة الذكر إثراء معرفي حقيقي للباحثين في هذا المجال وفتحت الأفاق الفكرية للمزيد من التدقيق والبحث بأمورٍ مشابهة وتفرعاتٍ خاصة, كالذي يعتمده هذا البحث.

وتختلف عن دراستي في أنها لم تتناول دور الإعجاز العلمي للوحي في الرد على تفسيرات الفكر الحداثي ونظرته للمصادر الصحيحة، وهذا ما سوف أحاول بيانه في دراستي.

- (**الحداثيون العرب وموقفهم من القصص القرآني**)- بسام محمود عبيدات, 2006, أطروحة دكتوراه, جامعة اليرموك, تطرق الباحث لماهية التيار الحداثي وخصائصه, مع عرض مفصل حول تفسيراتهم وتأويلاتهم لعدد كبير من نصوص القرآن الكريم, والرد الشرعي على ذلك من خلال طرح آلية تحاورية حول مجمل تلك القضايا, وتفنيدها فراداً وصولاً لعدة نتائج وتوصيات متعلقة, كانت كذلك بمثابة إضافة معرفية وعلمية جديدة ليس للمختصين في الشأن الشرعي والإسلامي فقط بل لعموم الناس على مختلف مستوياتهم الفكرية والعلمية, وكان لهذه الدراسة فضل كبير على هذا البحث في استسقاء أهم الأفكار المراد تبيانها ومناقشتها.

ركزت الدراسة على جانب واحد من الوحي وهو القصص القرآني ولم تبين صور الإعجاز القرآني ودوره في الرد على التفسيرات الحداثية المعاصرة للقرآن، وهذا ما سوف أحاول إبرازه في البحث.

- **خطة البحث:**

المبحث الأول: مفهوم القراءات الحداثية الغربية وتاريخ ظهورها.

المطلب الأول: مفهوم القراءات الحداثية ومناهجها.

المطلب الثاني: تاريخ ظهورها.

المطلب الثالث: موقف العرب من الحداثة.

المبحث الثاني: موقف الحداثيون العرب من ظاهرة الوحي.

المطلب الأول: مفهوم الوحي.

المطلب الثاني: موقف الحداثيون العرب من الوحي.

المبحث الثالث: الإعجاز العلمي للوحي ونماذج من رده على الفكر الحداثي.

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز العلمي.

المطلب الثاني: نماذج الإعجاز العلمي من القرآن الكريم.

المطلب الثالث: نماذج الإعجاز العلمي من السنة النبوية.

- **الخاتمة**

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: مفهوم القراءات الحداثية الغربية ومناهجها وتاريخ ظهورها.

المطلب الأول: مفهوم القراءات الحداثية ومناهجها

المطلب الثاني: تاريخ ظهورها.

المطلب الثالث: موقف العرب من الحداثة

المبحث الأول

مفهوم القراءات الحداثية الغربية وأسسها وتاريخ ظهورها.

المطلب الأول: مفهوم الحداثة لغةً واصطلاحاً:

أولاً: مفهوم القراءات الحداثية:

وردت للقراءة معانٍ كثيرة في اللغة العربية نورد بعضها:

القراءة بمعنى التلفظ والإلقاء: ومنه جاء قولهم: قرأت القرآن أي لفَظت به مَجمُوعاً، أي طريقتِه ومِثاله.

وتأتي بمعنى الطريقة والمثال والنمط: ومنه قولهم هذا الشعر على قَرءِ هذا الشعر أي طريقته ومِثاله.

وتأتي بمعنى: التفقه، ومنه قوله: تَقَرأت، بمعنى: تَفَقّهت [1].

والمعاني السابقة تدور كلها حول فلك المكتوب، فالكتاب مقروء بمعنى مجموع في كتاب، ومن يتأمل فيه فهو يتفقهه، ومن يقرأه على الغير فهو يلقي ويتلو، ويبلغ.

والذي يعنينا من هذه المعاني في مجال القراءة الحداثية معنيان: الأول: القراءة بمعنى: الطريقة، والثاني: التفقه[2]

أما في الاصطلاح الحداثي: فهي دراسة الآيات القرآنية ومحاولة فهمها فهماً جديداً مستنداً على الآليات والطرق الغربية كإطار مرجعي للفهم والتأويل[3].

المقصود بالقراءة الحداثية تلك المدرسة التي تبنَّى أصحابُها فلسفات ومذاهب غربيّة حديثة، وحاولوا تطبيقها في تفسير القرآن الكريم، متجاوزين الأدوات العلمية التفسيرية المسطَّرة عند أهل الاختصاص في هذا العلم، ومن أبرز أسماء هذه المدرسة الذين تعاملوا مباشرة مع الآيات القرآنية: محمد أركون، ومحمد شحرور، ونصر حامد... وغيرهم[4].

([1]) ابن منظور، لسان العرب، مج 2، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1955،ج1، ص128.

([2]) يحي مصلح علي المسفري، الوحي القرآني في منظور القراءة الحداثية، ص9.

([3]) المرجع السابق، ص10.

([4]) د. فاطمة الزهراء الناصري، القراءة الحداثية للنصّ القرآني: دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة والسمات والأهداف، مركز تفسير للدراسات القرآنية، https://tafsir.net/article/5217/al-qra-at-al-hdathyt

ISSN : 2410-1818

ثانياً- مفهوم الحداثة لغةً:

تعددت وجهات النظر حول معنى الحداثة بتعدد مجالاتها واستعمالها في اللغة، فقد وردت على معاني مختلفة منها:

الحديث: الجديد من الأشياء، والحديث: الخبر يأتي على القليل والكثير، والجمع: أحاديث..." تحدث بكذا وعن كذا تكلم وأخبر، وتحادثوا أي حدث بعضهم بعضا [5].

فقيل: الحداثة: مشتقة من الفعل الثلاثي: "(حدث)بمعنى حديث الظهور."[6].

وقال آخر "والْمحدث: ما كان مسبوقاً بمادةً ومدة، وقيل: ما كان لوجوده ابتداء "[7] "والحُدُوثُ: كونُ شيء لم يكن. وأحدثه اللّهُ فَحَدَثَ (أي أوجده الله). وحدث أمراً أي وقع "[8].

وقيل: "...كل ما كان وجوده طارئاً على عدمه أو عدمه طارئاً على وجوده فهو حادث"[9].

"... ويقال: صار فلاناً أُحدوثة، أي: أكثروا فيه الأحاديث. وشاب حَدَثُ، وشابة حَدَثة: فتية في السن. والحَدَث من أحداث الدهر شبه النازلة، والأُحدوثة: الحديث نفسه. والحديث: الجديد من الأشياء. ورجل حِدْث: كثير الحديث. والحَدَث: الإِبْداء"[10].

وقد تكون لفظة (الحداثة) تعني الابتداع والتجديد والابتكار فهذا يعني ظهور شيء مستحدث ومستجد وغير مألوف أي لم يكن للأوائل عهد به. فينبغي الحذر مما أبتدعه أهل الأهواء وأحدثوه مما لم يكن عليه أهل السلف الصالح. جاء هذا في معنى الحديث: "... وإيَّاكم ومحدَثاتِ الأمورِ فإنَّها ضَلالةٌ..."[11].

---

[5] ابن منظور، لسان العرب، ارجع السابق، ص133.

[6] محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المحقق: رفيق العجم، علي دحروج، مكتبة بيروت ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996، مج1، ص625.

[7] علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، 1413، ص172

[8] ابن منظور، لسان العرب، ص131.

[9] المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مرجع سابق، ص153.

[10] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب وتحقيق، د. عبد الحميد هنداوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003م، ص293،292.

[11] الإمام الحافظ أبي عيسى محمد الترمذي، الجامع الكبير، مج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، رقم 2676، ص408.

ISSN : 2410-1818

وقد جاء في لسان العرب أن الحديث نقيض القديم والحدوث نقيضه القدمة، حدث الشيء يحدث حدوثاً وحداثة، فهو محدث وحديث، وكذلك استحدثه[12].

ولعل مدار كلمة الحديث في اللغة تفسر بالنظر إلى ضدها، كونها ضد القدامة، ولعل ما يؤكد ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكر مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُم يَلعَبُونَ ٢﴾[الأنبياء:2]. والمحدث: الجديد، أي الجديد نزوله متكرراً، وهو كناية عن عدم انتفاعهم بالذكر كلما جاءهم، بحيث لا يزالون بحاجة إلى إعادة التذكير وإحداثه مع قطع معذرتهم؛ لأنه لو كانوا سمعوا ذكراً واحداً فلم يعبثوا به لانتحلوا لأنفسهم عذرا كانوا ساعتئذ في غفلة[13].

ومن خلال ما سبق يمكن القول:

ومما سبق يمكن القول أن الحديث لا يعني الجديد على غير مثال سابق بل ربما يكون الحديث إعادة التذكير بما سبق تأكيداً وتقريراً، وهنا مفرق الكلام بين الحداثة التي لا تنقلب على القيم الثابتة والحداثة التي تتنكر للقديم.

ثانياً: مفهوم الحداثة اصطلاحاً:

لقد تنوعت تعريف الحداثيين لمفهوم الحداثة بتنوع مجالاتهم فيعرفها أصحاب الأدب ومنهم الروائي الفرنسي فلوبير[14]"Flaubert" أن:" الحداثة هي التعصب للحاضر ضد الماضي" بمعنى أنّ الوعي الحداثي ليس تشيعًا لسلطة ماضوية وحنينًا إلى أصل تليد وحقبة ذهبية، بل هو تمجيد للحاضر وانفتاح على الآتي" ([15]) فهو يعتبر القطيعة مع الماضي من أهم خصائص الحداثة في الأدب.

أما البعض الآخر فيرون: أن مفهوم الحداثة مرتبط بالمسار التاريخية ومنهم **هيجل**[16] بالنظر إلى السياق التاريخي ليشير إلى عصر الأزمنة الجديدة، أو " الأزمنة الحديثة"، ويقابلها بالإنكليزية

---

[12] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، القاهرة، بيروت، ط3، 1414هجرية، مادة (ح د ث)، ص 131.

[13] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج17،ص11.

([14]) جوستاف فلوبير: ولد في الثاني عشر من شهر كانون الأول 1821م تأثر بالأدب بسبب حبه الفطري له كما تأثر بالجراحة بسبب عمل والده والبيئة التي عاش فيها. كان غوستاف ذكياً وكان يكره المسلّمات من الأفكار، صيب بمرض عصبي جعله يمكث طويلاً في كرواسيه. كان أول مؤلف مشهور له: « التربية العاطفية » (1843 – 1845)، ثم « مدام بوفاري » 1857 التي تمتاز بواقعيتها وروعة أسلوبها، وتوفي عام 1880م. انظر: فلوبير، نصوص الصبا (قصص وتأملات)، ت: ماري طوق، ط 1، 2014، أبو ظبي، ص 7-8.

([15]) محمد الشيكر، هايدغر وسؤال الحداثة، د ط، أفريقيا الشرق، 2006، ص 12.

([16]) هيجل: وُلد جورج ويلهلم فريدريك هيغل (Georg Wilhelm Friedrich Hegel في 27 أغسطس 1770م في شتوتغارت ألمانيا، من عائلة برجوازية تدين بالبوتستانتية، وكان ذو شخصية بارزة في حركة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر،

ISSN : 2410-1818

والفرنسية (في حوالي عام ١٨٠٠) ألفاظ" Modern Times"، أو "Temps Moderne"، وتشير إلى القرون الثلاثة السابقة اكتشاف العالم الجديد، وعصر النهضة والإصلاح، هذه الأحداث الثلاثة الهامة التي حدثت حوالي عام 1500 – تشكل العتبة التاريخية بين العصور الوسطى والأزمنة الحديثة" [17].

وبحسب ما فسرها هيجل يمكن القول أن الحداثة هي " ظهور ملامح المجتمع الحديث المتميز بدرجةً معينة من التقنية والعقلانية والتفتح. والحداثة كونياً هي ظهور المجتمع البرجوازي الغربي الحديث في إطار ما يسمى بالنهضة الغربية أو الأوروبية، هذه النهضة التي جعلت المجتمعات المتطورة صناعياً تحقق مستوى عالياً من التطور، مكنها ودفعها إلى غزو وترويض المجتمعات الأخرى" [18].

ويعرفها **هابرماس**[19] بأنها "جملة من سيرورات تراكمية يشد بعضها بعضاً " وهو يقصد بذلك حدوث تحديث وتطوير في الموارد وتحويلها إلى رؤوس أموال ونمو القوى الإنتاجية، وزيادة إنتاجية العمل، كما يحدث ذلك التطور على المستوى السياسي من خلال إنشاء سلطات سياسية مركزية، وتشكل قوميات وهويات متنوعة تربطها مجموعة من الحقوق السياسية المختلفة، مع ظهور أشكال العيش المتعددة وظهور التعليم المدني والعام إلى علمنة القيم والمعايير[20].

ونجد أن علماء الغرب قد اجتمعوا على أن الحداثة هي القطيعة عن الماضي وما يحمل من تراث فكري وأدبي واعتباره غير مقدس يخضع للتفسيرات الحداثية التي تنزع عنه قدسيتها وتخضعها للعقل ومسلماته الغير دقيقة.

كان تأثيره هائلاً سواء التي في الفلسفة أو في العلوم الأخرى، وكان له تأثير عميق على العديد من المدارس الفلسفية المستقبلية.(هيغل والهيغيلية، جان– فرانسوا كيرفغان، ترجمة: فؤاد شاهين، دار الكتاب الجديد، بيروت 2017، ص 9– 10).

([17]) يورغن هايرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، 1995، دمشق، ص 13.

([18]) محمد سبيلا، منارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009، بيروت، ص 227.

([19]) ورگن هابرماس: ولد في18 يوليو1929، هو فيلسوف ألماني من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر. ولد في دوسلدورف، ألمانيا ومازال يعيش بألمانيا. يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له أكثر من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي (أنظر: جيمس جوردن،هابرماس مقدمة قصة قصيرة، ترجمة: أحمد محمد الروبي، مؤسسة عنداوي، ص 9).

([20]) انظر: هابرماس، القول الفلسفي للحداثة،ص9.

ISSN : 2410-1818

مناهج الحداثة الغربية.

تعتمد الحداثة الغربية على مناهج متعددة في الحكم على النص الديني، ومحاولة الحكم عليه من خلال تلك المناهج وأبرزها:

- **منهج البنيوية:** وتعني البنيوية هي "منهجية نقدية تحليلية، تقوم فلسفتها على اعتبار البنية الذّاتية للظواهر بمعزل عن محيطها الخارجي والتأثيرات الأخرى، فهي تنظر إلى تلك الظواهر من الداخِل، وتفترض أنّها مغلقة على ذاتها"[21]، وهذا المنهج يعتمد على "بتر النصّ وعزله عن قائله وفكره ووجدانه، وكلّ ما يُحيط به من مؤثرات، فيتعامل مع النص على أنّه قالب جامد، ثم يفسر النص بمعانٍ غير مقصودة، بل ولا يحتملها النصّ. أمّا نظرية النظم عند الجرجاني فهي تُعتمد في ترتيب معاني النصوص، وتوضيح معانيها، بإخضاعها لضوابط، حيث يُرجع ذلك كله لقوانين النحو وأصوله"[22]، وهذا ما اعتمده الحداثيون العرب مثل أركون وغيره في نظرته للنصوص القرآنية.
- **المنهج التفكيكي:** ويعني ذلك " قراءة في محنة المعنى (...)، يعني أنّه لا مجال للقبض على المعنى الذي هو دومًا مثار الاختلاف والتعدد أو الانتهاك والخروج أو الالتباس والتعارض"[23]، وترى التفكيكية أن حضور المعنى غير قابل للتحقق لأن كل كلمة في اللغة تقود إلى أخرى في النظام الدلالي، وبهذا يكون كل معنى منفصل عن غيره، ومؤجل بشكل لا نهائي.

واعتبر المنهج التفكيكي أن " الانفصال الحاصل بين الدالّ والمدلول قضية لغوية في البداية ووُجودية في النهاية، ذلك أنّ انفصال الدالّ عن المدلول، هو انفصال العقل عن الواقع"[24].

ولا شك بان المنهج التفكيكي يقوم على نقض المرجعية والحقيقة المطلقة، وتعتبر حضور المعنى غير قابل للتحقق[25]، وبالتالي لا مرجعية للنصوص الدينية، كما أنه لا توجد فيها حقائق قابلة للتصديق.

المطلب الثّاني: تاريخ ظهور الحداثة.

لقد اختلف المؤرخين الذين حاولوا دراسة ظاهرة الحداثة حول بدايتها الأولى، فهناك من يعود بها إلى بداية ظهور حركات الإصلاح الديني وقيام الثورة الصناعية في أوروبا، وانفصال الفن عن الدين

([21]) محمد بلعفير، البنيوية؛ النشأة والمفهوم، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 15، المجلد 16، 2017م، ص242.

([22]) المرجع سابص245.

([23]) عليّ حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية- بيروت، ط1، 2005م، ص26- 27.

([24]) أحمد العزري، تلقي التفكيكية في النقد العربي الحداثي، تحت إشراف: مصطفى درواش، جامعة مولود معمري- الجزائر، 2012م، ص100.

([25])

ISSN : 2410-1818

و آخرون يرون أن بداياتها الأول كان مع ظهور الثورة الصناعية الثانية وتطور النظريات العلمية الخارجة عن سيطرت الكنيسة.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأنّ ظهور الحداثة الغربية هو نتيجة للمد الطبيعي الذي دخلته أوروبا منذ العصور الوثية، إلى عصر الظلمات، ثمّ امتداداً مع العصور اللاّحقة حتى التي عرفت تزاحماً لمذاهب وفلسفات متناقضة أتت تراكمياً، كلّ منها حمل دلالات موته في ذاته[26].

وتباينت آراء المفكرين حول تحديد زمن أو تاريخ متفق عليه لظهور الحداثة، فهناك من حدّدها ككلمة لفظ (حديث modern-) مثل هابرماس[27] فيرجعوه إلى القرن الخامس عشر[28]، إلاّ أنّ الباحث علي وطفة يؤكد أنّه لا علاقة بين الحداثة كمفهوم وأسلوب ومنهج مع لفظ الحديث، ويزيد عن ذلك بقوله أنّ ظهورها الحقيقي تجلى في حركة الإصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر[29] سنة 1517، ثمّ تجلت أكثر بأخذها لأبعاد فلسفية وسياسية خلال القرنين 17 و18 الميلاديين[30]. وتضيف الباحثة نادية بوذراع أنّ الحداثة صورة تجلى من خلالها العالم الغربي في البحث عن عالم مثالي يعيد الاعتبار للإنسان بعد أن أرهقته قوانين الكنيسة الظالمة، وهي ككل عبارة عن مستجدات حملها القرن السابع عشر تجلّت في الثورة الصناعية، العلم التجريبي، والثورة الفرنسية كصورة للوعي والفكر التجريبي الذي نادى به الفرنسيون؛ أي باختصار شديد هي كل تلك التحولات الجذرية التي شهدتها أوروبا منطقة تلو الأخرى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين في ميادين متعددة كالثقافة، السياسة، الاقتصاد والمجال العمراني والبشري، لتبلغ ذروتها مع الثورة الصناعية في انجلترا والثورة الفرنسية سنة 1789م متجسدة في العلم التجريبي والفلسفة العقلية بصورة كبيرة جدّا [31].

ورغم التباين حول البدايات الأولى لظهور الحداثة الغربية، إلا أن البعض يتفق أن بداية ظهور الإرهاصات الأولى بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي على يدي "شارل بودلير " الفرنسي

---

[26] عدنان علي، تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها، ط1414،2هـ-1994م، ص 25.

([27]) سبق تعريفه.

[28] صدر الدين القبانجي، الأسس الفلسفية للحداثة، مرجع سابق، ص 7.

([29]) مارتن لوثر: ولد في10 نوفمبر 1483 و توفي 18 فبراير 1546) هو راهب ألماني، يعتبر زعيم حركة الإصلاح في أوروبا، بعد اعتراضه على صكوك الغفران.(انظر: مارتن لوثر (قصة قصيرة، سكوت اتش هندريس، ترجمة: كوثر محمود محمد، مؤسسة هنداوي، 2013، ص 15 وما بعدها).

[30] على وظفة، مقاربات في مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة، ص16.

[31] نادية بوذراع، الحداثة في الشعرية العربية المعاصرة، ص . ص 17 . 18.

ISSN : 2410-1818

صاحب ديوان (أزهار الشر)[32] ثم ظهر " رامبو Rimbaud " الذي كان يرى أنه " أنه من الضروري أن نكون محدثين بصورة مطلقة " [33].

وهكذا تعاقب رواد الحداثة الغربية لتصبح سلسلةً متصلة بين الأجيال السابقة واللاحقة، إلى جانب ذلك كانت ثورة على مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والأدبية لتتجاوز إلى الأخلاق والقيم.

المطلب الثالث: موقف العرب من الحداثة:

أما بالنسبة للمفكرين العرب فقد جاء في تعريف الحداثة العديد من الأقوال، وسأحاول في هذا المقام إدراج بعض منها ـ على سبيل المثال لا الحصر.

يرى المفكر عبد الوهاب المسيري: أن الحداثة كانت بداية انطلاقها من أوروبا، **فهي** "ظاهرة غربية انطلقت من أوروبا مع الثورة الفرنسية عام 1789 م، واستطاعت أن تحدث التغيير في النظام السياسي من النظام الملكي إلى الديموقراطي الذي يقوم على سلطة الشّعب، واعتماد الليبيرالية نظاماً اقتصادياً، والمساواة بين الجنسين على الصعيد الاجتماعي، وإلزامية التعليم للأطفال، والانتقال من نموذج الجماعات والطّوائف الدينية المتحاربة إلى المواطن" [34].

ويعرفها يوسف **الخال** في الشعر فيقول: "الحداثة في الشعر إبداع وخروج على ما سلف، وهي لا ترتبط بزمن، فما نعتبره اليوم حديثاً يصبح في يوم من الأيام قديماً، وكل ما في الأمر جديداً ما طرأ على نظرتنا إلى أشياء فانعكس في تعبير غير مألوف"[35].

ويرى منير البعلبكي في قاموسه: أن الحداثة تعني العصرانية أو الصفة العصرية، أو النزعات العصرية، أو حب الجديد أو العصري. أو الحركة العمرانية. أو الحركة العصرانية وهي حركة في الفكر الكاثوليكي سعت إلى تأويل تعاليم الكنيسة على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة في أواخر القرن 19 وأوائل القرن العشرين، كما تعني النزعات اللاهوتية التحررية في البروتستانتية. ويمكن وصفها بأنها نزعةً في الفن الحديث تهدف إلى قطع الصلات بالماضي والبحث عن أشكال من التعبير الجديد[36].

([32]) ينظر: عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، ص24.

([33]) خيرت حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، د.ط. دمشق:0221، اتحاد الكتاب العرب، ص 34.

[34] عبد الوهّاب المسيري وفتحي التركي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، 2003، ط1، ص 349.

[35] يوسف الخال، الحداثة في الشعر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ط 01، ص 15.

[36] منير البعلبكي، المورد، قاموس انكليزي عربي، ط3، 1970م، بيروت، لبنان، ص 586

ISSN : 2410-1818

أما النقاد العرب فكان لهم موقف مختلف من مفهوم الحداثة وذلك بالنظر إلى مصادرها المعرفية ودلالة مفرداتها.

فنجد **عبد السّلام المسدي** يعرّف الحداثة على أنّها "تعاني إشكالا تصورياً متعدد الوجهات وعلى هذا الأساس يتعذر على النّقاد تناول موضوع الحداثة في موقع التنظير ما لم يفك التعاضد الاصطلاحي الحائم والتشابك المفهومي الرّاكن في مطاف المدلول"[37].

ولا يعني ذلك عدم وجود تعريفات للحداثة، فقد عرفها **صدر الدين القبانجي** من وجوه متعددة بحسب تعدد الرؤى والمناهج، فالحداثة:

*فلسفياً: هي مجموعة فلسفات متحركة كماً وكيفاً، إذ أنها في الحقيقة لا تنحصر برؤية فلسفية واحدة للكون والحياة والإنسان، بل هي مجموعة رؤى ونظرات تختلف بعيداً فيما بينها [38]؛ أي باختصار "الحداثة هي منهج في الرؤية أو منهج في كيفية الإطلالة الفكرية على الوجود"[39].

*علمياً: هي " الإبداع التقني والتطور"[40] فالحداثة دونما أي شك هي عبارة عن مشروع فلسفي نتج عن التطور العلمي المعاصر أو القفزة العلمية التي شهدتها البشرية في مختلف المجالات سواء الصناعية منها أو الزراعية أو الاقتصادية أو الطاقوية بل حتى مجال الفضاء ومجال النفس البشرية [41]، والذي يعدّ بمثابة البناء الفوقي للأسس الفلسفية للحداثة [42]، ويضيف قائلاً: بأنّ الفصل بين الحداثة العلمية والفلسفية هو محاولة عقيمة وإنّما يجب القبول بالكل أو رفض الكل[43].

أمّا **هشام شرابي** فصرّح بأنّ التجربة الأوروبية للحداثة تتجلى في موقفين، موقف أوّل " تجاه الماضي ومحاولة استرجاعه بالعودة إلى النموذج الإغريقي الروماني" وموقف ثاني " تجاه المستقبل القائم على

---

[37] عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ط 01، ص08.

[38] صدر الدين القبانجي، الأسس الفلسفية للحداثة، مرجع سابق، ص14.

[39] المرجع نفسه، ص 15.

[40] صدر الدين القبانجي، الأسس الفلسفية للحداثة، ص8.

[41] المرجع نفسة، ص4.

[42] المرجع نفسه، ص 6.

[43] المرجع نفسه، ص4.

ISSN : 2410-1818

العلوم وحتمية التقدم الإنساني"، لكنه يُلحظ منذ النصف الثّاني من القرن التاسع عشر تخلي مفهوم الحداثة عن ارتباطه الزمني؛ إذ يتركز في موقف الاتجاه نحو كل ما هو جديد[44].

ومن خلال ما سبق نجد أن مفهوم الحداثة ليس له صورةً واضحة الملامح رغم اشتراك المعاني و ارتباطها بوجوه متعددة كالنمو والتغيير والتطور، إلا أنه يمكن القول أن الحداثة تعني ضرورة تهديم الموروث والتبعية ونزع القداسة لكل ما هو ديني وإخضاعه للتفسيرات العقلية والتاريخية.

المبحث الثاني

موقف الحداثيون من الوحي والإعجاز العلمي

المطلب الأول: موقف الحداثيون من الوحي.

حاول الفكر الحداثي تفكيك المفهوم الإسلامي للوحي من خلال توظيفه لفلسفة التراث من منظور حداثي يعتمد على منهجيات العلوم الإنسانية الاجتماعية الحديثة، منهجية المقارنة التاريخية والأنثروبولوجية وتاريخية مقارنة الأديان، وتلك المنهجية تقوم على أنه على الرغم من الاختلافات الظاهرية بين مجتمعات الأديان إلا أن هناك سمات عميقة تجمع بينها، فالتقديس ظاهرة مشتركة بينها كلها وإن كان يتخذ أشكالاً وتجلياتٍ مختلفة. ومن ثم فالتقديس ظاهرة انثروبولوجية؛ إي إنسانية مشتركة لدى كل البشر المنتمين إلى مجتمعات الأديان، يختلف التعبير عنها وتجسيدها باختلاف الثقافات والبيئات [45].

صور الحداثيون الوحي بأنه نظرية سلبية؛ لأنها تجعل النبي ﷺ - حسب زعمهم- وعاء سلبياً مهمته التبليغ وحسب، بينما هم يريدونه مبدعاً مخترعاً للوحي حتى يكون إيجابياً[46]، يقول الشرفي:" النظرية الإسلامية التقليدية في الوحي، وهي النظرية القائمة على اعتبار النبي وعاءً سلبياً، يبلغ ما كلف بتبليغه فحسب" [47].

ويعتبر الحداثيون الوحي منتج ثقافي، ويفسرونه تفسيراً ماركسياً، ويخضعونه لمقولات الماركسية التي تدعي أسبقية الواقع على الفكر، برهان غليون:" إذا كانت معقولية العالم القديم نابعة من أسبقية الوعي الواقع، والروح على المادة، وكان إنتاج المعارف العلمية يخضع بالضرورة لإنتاج

---

[44] هشام الشرابي، "معنى الحداثة"، مقال أعيد نشره ضمن كتاب الحداثة دفاتر فلسفية، نصوص مختارة، مرجع سابق، ص20.

[45] موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام(دراسة تحليلية)، ص247.

[46] يحي مصلح علي المسقري، الوحي القرآني في منظور القراءة الحداثية، 1438هـ- 2017، جامعة قطر،ص 94.

[47] عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، ص88.

ISSN : 2410-1818

المفاهيم الأولى الكونية والدينية، فإن معقولية العلم الحديث نابعة من أسبقية الواقع على الوعي، والتجربة على التأمل، والاستقرار على الاستدلال، والتحليل على التركيب" [48].

ويشكك الفكر الحداثي بمصدرية الوحي، حيث يرون أن اللاوعي هو مصدر الوحي، يقول الشرفي:" الوحي إذاً هو مصدر علم النبي: أي تلك الحالة الاستثنائية التي يغيب فيها الوعي، وتتعطل الملكات المكتسبة، ليبرز المخزون المدفون غي أعماق اللاوعي، بقوة خارقة لا يقدر النبي على دفعها ولا تتحكم فيها إرادته" [49].

ويعتقد آخرون أن مصدر الوحي هو الخيال الخصب لا الوحي من عند الله تعالى يقول حسن حنفي:" يدرك النبي الوحي بمخيلته، أي: الكلمات والصور الذهنية صادقة أم كاذبة، لذلك تجاوز الأنبياء معرفة الأشياء بالحدود العقلية وعبروا عنها بالرموز والأمثلة، كما عبروا عن الحقائق الروحية بالتشبيهات الحسية، وهو الأسلوب المتفق عليه مع طبيعة الخيال. ولما كان الخيال غامضاً متقلباً ظهرت النبوة عند بعض الناس على فترات متباعدة في حياتهم، لم يكن للأنبياء فكر أكمل، بل خيال أخصب.. فمن يتميزون بالخيال الخصب يكونون أقل مقدرة على المعرفة العقلية، ومن يتميزون بالعقل يكونون أقل قدرة على الصور الخيالية؛ لذلك لا تحتوي أسفار الأنبياء على معرفة عقلية للأشياء الطبيعية، بل على صور خيالية للتأثير على النفوس" [50].

وهناك الكثير من الحداثيين من يردد ما قاله المستشرقون من قبل حول الوحي بمصدريه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ولا يسع البحث لطرح تلك المواقف[51].

المطلب الثاني: موقف الحداثيين من الإعجاز العلمي:

قبل الحديث عن موقف الحداثيين من الإعجاز العلمي للوحي الكريم، لابد من معرفة الفكر الحداثي من المعجزة.

وردت تعريفات متعددة لرواد الفكر الحداثي للمعجزة ومنهم حسن حنفي الذي يعرفها بقوله: "والحقيقة أنه لماذا تكون المعجزة من العجز، عجز الإنسان وقدرة الله؟ هل هذا احترام للإنسان وتعظيم لله، أم أنه تعظيم لله على حساب الإنسان؟"[52]، فهو لا يقبل بتعريف المعجزة كخرق للعادة.

([48]) برهان غليون، اعتيال العقل، د.ط.ت، دار التنوير، بيروت، ص 230.

([49]) عبد المجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ط2، 2008، دار الطليعة، بيروت، ص 42.

([50]) حسن حنفي، في مقدمة على رسالة في اللاهوت والسياسة، لا سبينوزا، ص 48.

([51]) انظر:

([52]) حنفي، حسن، من العقيدة إلى الثورة – محاولة لإعادة بناء علم أصول الدين، ط1، 5م، مدبولي، القاهرة، 1988م،ج4، ص65.

ISSN : 2410-1818

وقد ذهب إلى ذلك الجابري بأن المعجزة لا يشمل بالضرورة الخارق للعادة، حيث قال: "والدليل على ذلك أن كفار قريش قد أكثروا من مطالبة الرسول صلى الله عليه وسلم بالإتيان بآية (معجزة) تخرق نظام الكون واستقرار سننه كدليل على صدق نبوته، فكان جواب القرآن أن مهمة محمد بن عبد الله هو أن يبلغ لأهل مكة (أم القرى) ومن حولها رسالة الله إليهم (القرآن) وليس من اختصاصه الآتيان بآيات معجزات خارقة للعادة"[53].

وأكد الجابري على رأيه في عدم ضرورة اشتمال المعجزة على خرق العادة، وبين كيفية التعامل مع التراث الذي يشتمل على المعجزات الخارقة للعادة، فقال: "من واجبنا أن نختار منها ما لا يتعارض مع الفهم الذي ينسجم مع مبادئ العقل ومعطيات العلم في عصرنا"[54] فهو يخضع المعجزة للعقل ومعطيات العصر، وما عدا ذلك لا عبرة لها.

أما شحرور فيعتبر المعجزة ظاهرة طبيعية وليس فيها خرقاً للعادة، حيث يقول: "يمكن لنا أن نعرف المعجزات للأنبياء بما يلي: المعجزة عند كل الأنبياء قبل محمد هي تقدم في عالم المحسوس (ظاهرة طبيعية) عن عالم المعقول السائد وقت المعجزة (كشق البحر)، ولكنها ليست بحال من الأحوال خروجاً عن قوانين الطبيعة أو خرقاً لها"[55].

وهو يتوافق مع حنفي في اعتبار المعجزة خرقاً للعادة نتيجة لجهل العلوم الطبيعية وتوافق للعقل ومنطلقاته.

أما نصر حامد أبو زيد فيرى أن البحث في الإعجاز أنما هو البحث عن الفروق بينه وبين بقية الثقافات حيث يقول: "إنّ البحث في قضية الإعجاز ليس في حقيقته إلا بحثاً عن السمات الخاصة للنصّ والتي تميزه عن النصوص الأخرى في الثقافة وتجعله يعلو عليها ويتفوق"[56].

أما هشام جعيط فقد أنكر المعجزة مطلقاً: "المعجزات مستحيلة في ذاتها، ومستحيل الإيمان بها، فمعجزات الأنبياء من قبل لم توجد فعلاً، وإنما روي بعدهم أنها وجدت، وسرت القصة عبر التاريخ على أنها واقعة وجرت، وإنِ المعجزة إلا حديث عن المعجزة"[57].

وبما أن الحداثة الغربية تقوم في أساسها على العقلانية أي اعتبار العقل هو المصدر للحكم على صحة الأشياء أو عدمها، فالعقل بالفكر الحداثي لا يمكنه أن يؤمن بالغيبيات وما وراء الطبيعة لأنها

---

[53] الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ط1، 2ج، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ج1، ص187.

[54] المرجع السابق، ج1، ص188.

[55] شحرور، محمد، الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة، دار الأهالي، دمشق، ص185.

[56] أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م، ص137.

[57] جعيط، هشام، في السيرة النبوية (1)، الوحي والقرآن والنبوة، ط2، دار الطليعة، بيروت، 2000م، ص29.

ISSN : 2410-1818

لا يمن أن تتفق على التصور العقلي للإنسان ومنها لأنها تشكل نقضاً صارخاً لأسس الحداثة، فالموقف الطبيعي للحداثة هو إنكار المعجزة لكونه يشتمل على ما يضادها ويهدمها وهو الخارق للعادة.

وإذا كان ذلك موقف الحداثيين من المعجزة فمعنى ذلك أن الفكر الحداثي لا يؤمن بالإعجاز لنصوص الوحي الحكيم.

فهذا الجابري يقول: "القرآن لا يحتاج إلى معجزة من خارجه تؤيد صدقه وكونه منزلاً من عند الله، بل هو نفسه يحمل معه برهان إعجازه، إنه التأثير العميق في قلوب الذين لا يتخذون منه مسبقاً موقفاً رافضاً مكذباً"[58].

فهو يعتبر إعجاز القرآن الكريم هو التأثير العميق في قلوب من لا يتخذون منه موقفاً مسبقاً، ومن الواضح أن هذا الذي يسميه الجابري إعجازاً لا علاقة له بخرق العادة، لأن شكسبير يؤثر في قارئيه تأثيراً يتملكهم، بل إن بعض المقطوعات الموسيقية قد تسلب صاحب الأذن المرهفة عقله، وتملك عليه وجوده.

وما يؤكد بطلان ما ذهب إليه الجابري، تأثر بعض مشركي العرب بالقرآن الكريم، لكن مع ذلك يجحدون به..

ويؤكد الجابري أن المعجزة القرآنية لا علاقة لها بخرق العادة، فيقول: "واضح هنا أننا أمام إغلاق نهائي لمسألة إمكانية تخصيص خاتم النبيين والمرسلين بمعجزة من جنس ما طالبت به قريش (يعني الخارق للعادة)، لقد قررت الآية أنّ القرآن كافٍ وحده كمعجزة للنبي"[59].

ويقول حسن حنفي موضحاً معنى إعجاز القرآن بالنسبة له: "الإعجاز إذن تطوير للمعجزة القديمة التي كانت وسيلة الوحي لتغيير بناء الشعور البشري، وتحريره من سيطرة السلطان البشري القاهر، ولما لم تنجح هذه الوسيلة في كثير من الأحيان؛ فهي استبدال خرافة بخرافة، كان الشعور يرجع باستمرار إلى طبيعته الأولى بعد أن تغير، وكأنه لم يتغير مطلقاً، لذلك انتهى دور المعجزة بعد استقلال الوعي البشري واكتمال الوحي، وتحوّلت المعجزة الطبيعية القديمة إلى إعجاز الكلام الجديد، وتحدي القدرة البشرية على الخلق الأدبي والتشريعي، ومن ثمَّ يكون الإعجاز جاهزاً مستمراً للشعور على الخلق، ودافعاً مستمراً للفكر على التحدي"[60].

---

[58] المصدر السابق، ص184.

[59] الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، ج1، ص188.

[60] حنفي، من العقيدة إلى الثورة، ج4، ص183.

ISSN : 2410-1818

وما ذهب إليه حنفي يعتبر نموذجاً لمن يريد خرق معنى المعجزات، من خلال نفي معنى الخوارق للعادات، فهو يصرح على اعتبار المعجزات ما هي إلا خرافات، وأنَّ معجزة القرآن الكريم هي في الدافعية التي يخلقها في نفوس الناس على الإبداع والخلق الأدبي والتشريعي.

المبحث الثالث: الإعجاز العلمي للوحي ورده على الفكر الحداثي.

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز العلمي.

المطلب الثاني: نماذج الإعجاز العلمي للوحي من القرآن الكريم.

المطلب الثالث: نماذج الإعجاز العلمي للوحي من السنة النبوية.

المبحث الثالث

الإعجاز العلمي للوحي ورده على الفكر الحداثي.

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز العلمي:

مسألة الإعجاز العلمي للوحي من المسائل التي شغلت مساحة كبيرة في الفكر الإسلامي، ولا تزال كذلك حتى عصرنا الحاضر، فقد اهتم بها كثير من العلماء المسلمين وغيرهم، من أصحاب الفكر الحداثي، ولذلك لأبد من معرفة مفهوم الإعجاز العلمي قبل تناول نماذج من إعجاز الوحي التي تدفع شبه الفكر الحداثي الفاسد.

- **مفهوم الإعجاز في اللغة:**

وردت تعريفات كثيرة في معاجم اللغة لمعنى الإعجاز، سنقتصر على بعضها مخافة التطويل في مادة البحث.

ذكر الرازي في مادة (ع ج ز) أن: " العجَز، بضم الجيم: مؤخر الشيء، يذكّر ويؤنث، والعجز الضّعف، وبابه ضَرَبَ و(معجَزاً) بفتح الجيم وكسرها، و(أعجزه) الشيء، فاته، و(المعجزة) واحدة معجزات الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام" [61].

وأما ابن فارس فيقول: فقد رد المشتقات إلى أصولها- فقال: " (ع ج ز) العين والجيم والزاي، أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف والآخر على مؤخر الشيء" [62].

- **الإعجاز اصطلاحاً:**

اختلفت تعريفات أهل العلم في تحديد مصطلح الإعجاز من حيث الدقة في التحديد، جوانبه المتعددة.

([61]) الرازي، مختار الصحاح، ترتيب محمد خاطر، ط1، دار الفكر، بيروت، 1421هـ- 2001م، ص176.

([62]) أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، (د. ط)، دار الفكر، بيروت، 1399هـ- 1979م، ج4، ص 232.

ISSN : 2410-1818

يعرفه المناوي بقوله: " الإعجاز في الكلام، تأديته بطريقة أبلغ من كل ما عداه من الطرق" [63].

ويعرفه أبو البقاء بقوله:" وإعجاز القرآن، ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح، لا لإخبار عن المغيبات، ولا عدم التناقض والاختلاف، ولا الأسلوب الخاص، ولا صرف العقول عن المعارضة.."[64].

ويقول الزرقاني عن إعجاز القرآن:" إن إعجاز القرآن، مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به" [65]

يقول عبد الكريم على الفهدي أن الإعجاز مشتق من العجز بمعنى الضعف أو عدم القدرة، والعلمي نسبة إلى العلم أي إدراك الأشياء على حقائقها. فالإعجاز العلمي هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، و ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، و هذا مما يظهر صدق الرسول ﷺ فيما أخبر به عن ربه سبحانه[66].

ومن هذه التعريفات يمكن القول أن الإعجاز العلمي هو أخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقائق أثبتتها العلوم التجريبية أخيراً، وكانت دليلاً واضحاً على صدق ما اخبر به النبي ﷺ، و تبصيراً للمؤمن في دعوته الصادقة.

المطلب الثاني: الإعجاز في القرآن الكريم:

لقد حرص الحداثيون على ربط القرآن الكريم بالمرحلة التاريخية التي نزل بها على سيدنا محمد ﷺ، في معالجة قضايا عصره ولا يتعداه، وهذا افتراء ومغالطة لا يقبلها العقل السليم الناظر إلى أسرار القرآن الكريم وإعجازه، يقول موريس بوكاي: " والذي يدهش فكر من يواجه مثل هذا النص للمرة الأولى، هو غزارة الموضوعات المطروحة مثل الخلق، والفلك، وعرض بعض الموضوعات الخاصة بالأرض وجنس الحيوانات والنبات، وتكاثر الإنسان، وتلك الأمور التي نجد عنها في التوراة دون نص القرآن أخطاء علمية كبيرة، تحملني على التساؤل: إذا كان كاتب القرآن بشراً، فكيف أمكنه في القرن

([63]) محمد بن عبد الرؤوف الماوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ت: محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، دمشق، بيروت، 1410هـ، ص 75.

([64]) أبو البقاء، الكليات، ت: عدنان درويش ومحمد المصري،،(د. ط)، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1419هـ- 1998، ص 215.

([65]) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ت: فواز أحمد زمرلي، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ، ج2، ص 259.

([66]) علي الفهدي، عبد الكريم،1432هـ، المرجع السابق، ص4.

ISSN : 2410-1818

السابع الميلادي كتابة ما يثبت أنه اليوم متفق مع المعارف العلمية الحديثة؟ وليس ثمة أي شكٍ في أن النص الذي بين أيدينا للقرآن هو ذلك العصر" [67].

وقد تحدث القرآن الكريم في الكثير من الآيات الكونية التي جاء العلم الحديث ليثبت صدق ما تحدث به القرآن في عهد الرسول ﷺ، وسوف نذكر بعض نماذج الإعجاز القرآني:

- **معجزة اتساع الكون بصورة مستمرة:**

لقد أورد الله تعالى في كتابه الكريم الكثير من الحقائق الكونية التي جاءت الاكتشافات العلمية لإثبات سبق القرآن الكريم في الحديث عنها، ومنها حقيقة اتساع الكون بصورة مستمرة فقد قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[الذاريات:47]، وقد أثبتت الدراسات العلمية الأخيرة أن الكون في حركة دائمة وتؤدي إلى ازدياد حجمه باستمرار، وكلما ازداد حجم الكون ازدادت المسافة بين أجرامه، والمجرات فيه تتباعد عن بعضها البعض بسرعة مذهلة[68].

وهنالك آيات كثيرة تعتبر دليلاً علمياً على حدوث الاتساع الكوني أو التمدد، ومنها تعاقب الليل والنهار الذي يكون نتيجة لدوران الأرض حول الشمس، فيصير الوجه الذي يقابل الشمس من الأرض نهاراً، والذي لا يقابلها يكون ليلاً﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴾[الفرقان:62]، وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾[فاطر:13][69].

- **ظاهرة تثبيت الأرض وامتدادها:**

من الظواهر الطبيعية التي تحدث عنها القرآن الكريم واثبتها العلم الحديث، امتداد الجبال تحت سطح الأرض تزيد على الارتفاع الظاهر بعده مرات، يقول الدكتور زغلول النجار: " ولم تكتشف هذه الحقيقة إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر عندما تقدم السيد (جورج أيدي) بنظرية مفادها أن القشرة الأرضية وما عليها من الجبال لا تمثل إلا جزءاً طافياً على بحر من الصخور الكثيفة المرنة، ومن ثم فلابد أن يكون للجبال جذور ممتدة داخل تلك المنطقة العالية الكثافة لضمان نباتها واستقرارها. ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الجاثية:3]، وقد وصف القرآن شكلاً ووظيفة فقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا

([67]) موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، ص 114.

([68]) الإنسان والكون، ص 348.

([69]) المرجع السابق، ص 350.

ISSN : 2410-1818

مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾[لقمان:10]، وجاءت نظرية (أبري) لتثبت على وجه القطع أن للجبال جذوراً مغروسة في أعماق الأرض وقد تصل إلى ما يعادل ارتفاع (15) مرة من ارتفاعها فوق سطح الأرض. وأن للجبال دور كبير في إيقاف الحركة الأفقية الفجائية لصفائح طبقة الأرض الصخرية[70].

- **معجزة دور المياه في تشكيل الصخور:**

نعمة الماء من النعم العظيمة التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان و جميع المخلوقات حتى الصخور الصماء قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾[إبراهيم:32]، وقد ذكر العلماء دور المياه في تشكل ألوان الصخور، وأن هنالك من الصخور تصنف للونها وهي كما ترى تغطي أنواعاً كثيرة نارية رسوبية متحولة[71].

واثبت علماء الجيولوجيا عن أن لون الصخر هو نتاج ألوان المعادن المكونة له، والنسيج الذي ينظمها والعوامل الجوية التي تعرض لها، كما أن لون المعدن هو نتاج تركيبي؛ أي التركيب الكيميائي والبيئة التي تكون فيها.. مؤكسدة أو غير مؤكسدة وتفسر كتب علم المعادن أسباب تغير ألوان المعادن بظاهرة الامتصاص؛ إذ تمتص المعادن من طاقات أو موجات الأشعة المائية: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة:19][72].

- **الإعجاز العلمي في انشقاق القمر:**

لقد ورد ذكر القمر في القرآن الكريم (27) مرة، وفي معظمها جاء مقترناً بلفظة الشمس، وذلك لأنهما الجرمين الرئيسيين اللذان تشاهدهما بوضوح من الأرض، ولتأثيرهما الضوئي المباشر على الحياة الإنسانية.

فالشمس كوكب مضيء بذاته نتيجة التفاعلات الذرية في داخلها، وإشعاعات الشمس المنبعثة من هذه التفاعلات تصل إلى الكوكب ومنها إلى الأرض والقمر وغيرهما من الأجرام السماوية غير المضيئة بذاتها، وبالتالي ينيرها، فالقمر يبدو مضيئاً نتيجة النور المرتد من سطحه.

([70]) الشيخ عبد المجيد الزنداني، بيانات الرسول(ص) ومعجزاته، ص 94.

([71]) كارم سيد غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم، ص 518- 521.

([72]) م.م. هاشم عبد الله طاهر الياسري، الإعجاز القرآني في آيات الطبيعة(دراسة تحليلية)، مجلة دراسات تربوية، العدد الحادي والعشرون، كانون الثاني 2013م، ص 234.

ISSN : 2410-1818

وهذه الحقيقة لم تعرف إلا في القرن العشرين، فقد اكتشف العلماء أن القمر جسم بارد بعكس الشمس التي تعتبر جسما ملتهباً، ولذا نجد القرآن الكريم عبر عن القمر بكلمة دقيقة ووصفه ب(نور)، أما الشمس وصفها ب(الضياء)، فالنور هو ضوء بلا حرارة ينعكس عن سطح القمر، أما الضياء فهو ضوء بحرارة تبثه الشمس، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[يونس:5]، فمن كان يعلم قبل نزول القرآن أن القمر جسم بارد يعكس ضوء الشمس[73]

ومع تطور العلم الحديث حاول العلماء معرفة باطن القمر بالمختبرات الفضائية من خلال إحداث تفجيرات على سطحه (زلازل اصطناعية) وجعل موجات هذه الهزات تمر بباطن القمر، فاكتشفوا أن مكونات القمر هي نفس مكونات الفضاء، وأنه كان كتلة مشتعلة ثم بردت، وأن باطنه لا يزال مشتعلاً [74]، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾[الإسراء:12]، فقد أشارت الآية إلى أن القمر كان يبعث بضوئه إلى الأرض وما حولها من كواكب، ثم انطفأ، وهذا ما أكدته الآية ب (آية الليل) أي القمر، و(آية النهار) أي الشمس، فمحو آية الليل أي طمس ضوء القمر وجعله معتم، أما الوجه الآخر(فمحونا أية الليل) أي طمسنا الليل، وأصبح اشد ظلاماً، وهذا معناه أن الليل لم يكن مظلماً بهذا القدر، بل كان فيه ضوء فمحونا ذلك الضوء وجعلناه أكثر ظلاماً، وهذا التفسير ينسجم مع أمرين:

أولاً: إن القمر كان مضيء فذهب ضوؤه وأصبح اشد ظلاماً بعد أن كان فيه ضوء.

ثانياً: ما يؤكده العلماء إذ يقولون أن ليل الأرض كان مليئاً بالأشعة والتوهج نتيجة للشهب والنيازك (فمحونا آية الليل) أي ذهب ذلك الضوء كان في الليل، وذلك لاستقرار الكواكب وبرودتها بعد انفصالها عن الشمس فقلت الشهب والنيازك ولم تكن بعد برد الكواكب بتلك الفاعلية التي كانت عليها[75].

([73]) م.د. زهراء مهدي كاطع، عجائب القمر والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دراسات إسلامية معاصرة، العدد 32، حزيران 2022، ص212.

([74]) د. حميد النجدي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ط 2، مطبعة باقري دار الأنصار، 1428 هـ- 2007، ص 80

([75]) م.د. زهراء مهدي كاطع، عجائب القمر والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دراسات إسلامية معاصرة، ص 213.

ISSN : 2410-1818

فالآية تحمل معنيين بل وتزيد عليهما بما لا نعلمه، لان اللفظي القرآني يجمع أحياناً معاني عدة في لفظ واحد، لأنه من خالق الكون وخالق الفظ من عالم السر والعلن[76].

ومن خلال استعراض الإعجاز العلمي في آيات الله تعالى المبثوثة في الكون والتي أخبر عنها القرآن وشهدت بصدقها الأبحاث العلمية المنصفة، نجد أن دعاوى الحداثيين بتاريخية النص القرآني دعوى باطلة لا يقوم عليها دليل.

المطلب الثالث: الإعجاز العلمي في السنة النبوية:

لقد عرفنا موقف الفكر الحداثي من الإعجاز العلمي للوحي، والذي ينكر ذلك الإعجاز وربط الأحداث بزمن وقوعها أو ينكر خرقها للعادة ولا يوجد من أبلغ رد إلا إثبات ذلك الإعجاز الذي تجاوز الزمان والمكان، وفي الحديث النبوي الشريف كما في القرآن من الإعجاز ما يدعوا إلى الوقوف عليه.

- **الحجر الصحي**

تنتشر الكوارث والأوبئة في أوساط المجتمعات الإنسانية في مختلف العصور، ويجتهد الإنسان في مواجهة تلك الكوارث والأوبئة بكل الطرق والأساليب الممكنة التي تحد من انتشارها في بقية أفراد المجتمع.

وفي العصر الحاصر أصاب العالم ما عرف بجائحة كورونا التي تعد من الكوارث الطبيعية، وتدخل تحت نطاق الأوبئة.

وقد استنفر العالم بكل إمكانيته لمواجهة انتشار المرض، وفرضت إجراءات وقائية مشددة على مختلف المستويات والأصعدة، والناظر إلى تلك الإجراءات الاحترازية يجد أن السنة النبوية قد اتخذتها في وقت مبكر، ودل الحديث النبوي الشريف على كيفية مواجهة الكوارث والأوبئة.

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: " الطاعون بقية رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها"[77]

وفي هذا الحديث أخبر النبي ﷺ إلى طريقة ما يعرف اليوم بالحجر الصحي وهو: عزل كل مصاب بالمرض، وكذا كل من تعرض للمرض، بحيث لا يدخل عليهم أحد إلى المكان الذي هم فيه، ولا يخرج منهم أحد لخارج المكان الذي يعيشون فيه، تماماً كما ورد في الحديث: " فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه" [78].

([76]) د. حميد النجدي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص83- 84.

([77]) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، رقم (3473).

([78]) د. كمال المويل، الإعجاز الطبي في السنة النبوية، ط2، 1426هـ- 2005، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ص 29.

ISSN : 2410-1818

واعتبر الإسلام تجاوز تلك الإجراءات الاحترازية إلقاء بالنفس إلى التهلكة قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة:195]، والخروج من الأرض التي وجع فيها الوباء قتل للآخرين بنشر المرض، وإصابة الأصحاء به وهذا مخالف للقاعدة الشرعية " لا ضر ولا ضرار"[79].

وهو ما يقوله الأطباء وأولو الأمر اليوم بمنع السفر والتنقل بين البلد الموبوء والبلدان الأخرى ؛ حرصاً على عدم انتشار الوباء.

ومن ثم؛ فإن هذا الحديث الشريف يعد معجزةً نبويةً نراها ونلمسها في عصرنا هذا ، ويمثل طريقة صحيحة في الطب الوقائي، ويمثل سبقاً علمياً يشهد على صدق هذا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صدق رسالة الإسلام.

وفي تقرير نشرته مجلة: " نيوزويك " الأمريكية حول تعاليم جاء بها النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – لمكافحة الأوبئة.

وحسب التقرير: فإن توجيهات الحكومة والأطباء وعلماء الأوبئة لإيقاف انتشار الوباء العالمي فيروس كورونا المستجد (كوفيد – 19)، هي مشابهة لتلك النصائح التي أوصى بها النبي محمد ﷺ.

ونقل كاتب التقرير الدكتور (كريغ كونسيدين) عن عالم المناعة (أنتوني فوسي) والدكتور (سانجاي غوبتا) قولهما: إن النظافة الصحية الجيدة والحجر الصحي، أو ممارسة العزل عن الآخرين على أمل منع انتشار الأمراض المعدية، هي أكثر الأدوات فعالية لاحتواء فيروس كورونا.

ووجه سؤالاً: هل تعرفون من اقترح أيضاً النظافة الصحية والحجر الصحي أثناء الوباء ؟

مجيباً على ذلك بالقول: أنه محمد صلى الله عليه وسلم، نبي الإسلام، قبل 1400 عام، لافتاً إلى أن النبي لم يكن أبداً خبيراً في مسائل الأمراض الفتاكة، إلا أنه كانت لديه نصيحة رائعة لمنع ومكافحة تطور وباء مثل فيروس كورونا.

وأضاف التقرير: النبي محمد ﷺ قال:" إذا ما سمعتم بانتشار الطاعون بأرض ما لا تدخلوها، أما إذا انتشر الطاعون في مكان خلال تواجدك فيه فلا تغادر هذا المكان".

وقال أيضاً: المصابون بأمراض معدية يجب إبقاؤهم بعيداً عن الآخرين الأصحاء.

وألقى التقرير الضوء على أن النبي محمداً ﷺ – أيضاً – شجع بقوة البشر على الالتزام بالنظافة الشخصية التي ستبقى الناس في مأمن من العدوى.

انظروا للأحاديث هذه: "النظافة جزء من الإيمان"، "أغسل يديك بعد استيقاظك من النوم فلا تعلم أين تحركت يداك خلال نومك"، "بركة الطعام تكمن في غسل اليدين قبل وبعد الأكل" .

وتساءل الكاتب: ماذا لو مرض شخص ما ؟ ما نوع النصيحة التي يقدمها النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى إخوانه من البشر الذين يعانون من الألم ؟

([79]) رواه أحمد، (313/1) وابن ماجه (2340).

ISSN : 2410-1818

وأجاب بأنه: سيشجع الناس على السعي – دائماً – للحصول على العلاج الطبي والأدوية؛ وذلك في حديثه: " أنه ما من داء إلا أنزل الله له دواء باستثناء مرض واحد وهو (الشيخوخة)[80].

وهذا كله يدل على أن الوحي المنزل على رسول الله ﷺ فيه من الإعجاز ما لا يمكن إنكاره أو القول بأنه يرتبط بزمن معين أو بيئة محددة.

- **علاج الحمى.**

تُحدث الأمراض العامة دائماً ارتفاعاً في درجة الحرارة فتَحدث الحمّى، والحمّى مؤشر حساس وصادق لوجود المرض، وحتى لو لم يحدث المرض حمّى صريحة فإن أثره في تنظيم الحرارة يكون جلياً بشكل توهج، أو شحوب، أو تعرق، أو عرواء، أو شعور غير عادي بالحرارة، أو البرودة[81].

وقد اخبرنا النبي ﷺ عن علاج الحمىّ بقوله: " الحمىّ أو شدة الحمىّ من فيح جهنم، فأبردوها بالماء" [82]، بين الحديث النبي الشريف علاج الحمىّ بالماء البارد وهذا ما يثبته العلم الحديث من أنه يجب خفض الحرارة بعلاجها بضدها، وهو البرودة، وأن ترك الحمىّ على حالها قد يسبب كثيراً من الأذيات في الجسم ابتداءً من العرواء، ثم الهذيان، ثم قصور القلب، أو الصدمة الحموية، وانتهاء بضربة الحر والموت[83].

- **الإعجاز الطبي في حديث التواد بين الأمة:**

حث النبي ﷺ الأمة على التواد والتراحم بقوله:" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" [84]، وفي هذا الحديث مثل النبي ﷺ الترابط والتعاطف بين الأمة مثل الجسد الواحد وما يحدث فيه عندما يشتكي عضو من أعضائه، ووصف لنا ما يحدث عن الشكوى من أن الجسم يتداعى كله بالسهر والحمى من أجل هذا العضو.

والنبي ﷺ بما أوتي من جوامع الكلم وصف لنا ما يحدث في جملة شرطية قصيرة، فعل الشرط فيها اشتكى، وجواب الشرط: تداعى[85].

([80]) أ. د. محمد بلاسي، مواجهة الكوارث والأوبئة من خلال الهدي النبوي(جائحة كورونا أنموذجاhttps://albasulislami.com)

([81]) د. كمال المويل، الإعجاز الطبي في السنة النبوية، ص37.

([82]) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم حديث رقم(5416).

([83]) د. كمال المويل، الإعجاز الطبي في السنة النبوية، مرجع سابق، ص39.

([84]) صحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم (4813).

([85])د. ماهر محمد سالم، من الإعجاز الطبي في السنة المطهرة، ط1، 1427هـ- 2006،ص 42.

ISSN : 2410-1818

وهذا الوصف العجيب لم يكن يعرفه أهل زمانه ﷺ ولا بعده بقرون طويل، إلى أن تطور العلم الحديث وكشف أن انطلاق نبضات عصبية حسية من مكان الإصابة والعضو المريض إلى الدماغ وإلى مراكز الحس والتحكم غير الإرادي، وانبعاث مواد كيماوية وهرمونات من العضو المريض، وبمجرد حدوث ما يتهدد أنسجته فتخرج أول قطرة دم تنزف أو نسيج يتهتك أو ميكروب يرسل سمومه بين الأنسجة والخلايا، تذهب هذه المواد إلى مناطق مركزية في المخ والأعصاب الحيوية المتحكمة في عمليات الجسم الحيوية، وإن من يعرف هذه الحقائق لا يستطيع إلا أن يصفها بأنها شكوى على الحقيقة وليست على المجاز[86].

وعندما أخبر النبي ﷺ بقوله: "إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" فهذا الداعي يحدث فعلاً ويجمع معاني الداعي على حقيقة في اللغة وهو " استمالة الشيء إليك بصوت وكلام، تقول دعوت أدعو دعاء [87].

وقد أثبت الطب الحديث حقيقة ذلك التداعي كما أخبر النبي ﷺ، على النحو التالي:

1- فهو يدعو بعضه بعضاً، مراكز الإحساس تدعو مراكز اليقظة والتحكم في منطقة ما تحت المهاد التي تدعو بدورها الغدة النخامية لإفراز هرموناتها والتي بدورها تدعو باقي الغدد الصماء لإفراز هرموناتها التي تحفز وتدعو جميع أعضاء الجسم لتوجيه وظائفها لنجدة العضو المشتكي.
2- وهو يتداعى بمعنى يتوجه بطاقاته لخدمة العضو المشتكى، فالقلب مثلاً يسرع بالانقباض والانبساط، ليسرع بتدوير الدم، في الوقت الذي تنقبض الأوعية الدموية بالأجزاء الخاملة من الجسم، وتتسع الأوعية الدموية المحيطة بالعضو المصاب لكي تحمل له ما يحتاجه من طاقة، وأكسجين، وأجسام مضادة، وهرمونات وأحماض أمينية بناءة، هي خلاصة أعضاء الجسم المختلفة في الكبد والغدد الصماء والعضلات، كما ترسل الدهون المختزنة كلها لإمداد العضو المريض بما يحتاجه لمقاومة المرض والالتئام.
3- وهو يتداعى بمعنى يتهدم وينهار فعلاً، ويبدأ بهدم مخزون الدهن ولحم العضلات (البروتينات) لكي يعطي من نفسه لمصلحة العضو المصاب ما يحتاجه وما ينقصه، ويظل الجسم متوجهاً بعملية الهدم هذه إلى أن تتم السيطرة على المرض ويتم التئام الأنسجة المريضة أو المجروحة، ثم بعد ذلك يعود الجسم لبناء نفسه[88].

([86]) المرجع السابقص44-45.

([87]) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص 279.

([88]) د. ماهر محمد سالم، من الإعجاز الطبي في السنة المطهرة، ص 47-49.

ISSN : 2410-1818

ومما سبق نجد أن العلم الحديث كشف حقيقة تتطابق مع نص الحديث النبوي الشريف الذي قدم وصفاً دقيقاً شاملاً لحقيقة ما يحدث عن افتراق الأمة وتمزقها.

الخاتمة:

بعد البحث في موضع الإعجاز العلمي للوحي ودوره في الرد على الفكر الحداثي، تم التوصل إلى نتائج وتوصيات، وهي:

أولاً: النتائج:

- يعود الفكر الحداثي في قضية إعجاز القرآن الكريم إلى الأصل الفلسفي القديم القائل باستحالة خرق العادة.
- يرتكز الفكر الحداثي في قضية المعجزة على أصول الحداثة وأسسها، العدمية والتاريخية والعقلانية والدنيوية، ويمثل كل منها أساساً في رفض المعجزة.
- سلك الفكر الحداثي في قضية إعجاز القرآن الكريم نفي الإعجاز، طريقين؛ الأول: نفي إعجاز الوحي صراحة، والثاني: تحريف معنى إعجاز الوحي بتأويله بما ينفي معناه.
- برزت الكثير من الأبحاث في مختلف المجالات الطبية والعلمية التي تثبت إعجاز الوحي (القرآن الكريم والسنة النبوية).

ثانيا: التوصيات:

- إنشاء مراكز بحثية تهتم بدراسة الإعجاز العلمي مقروناً بالدراسات الفكري للرد على شبهات الفكر الحداثي.
- تطوير المنظومة التعليمة في دراسة الوحي دراسة علمية مؤصلة تستطيع مواجهة الأفكار الهدامة وتفسيراتها.
- استخدام وسائل الإعلام الحديثة في كشف الأفكار الباطلة، وبيان أساليبها وطرقها.
- تشجيع رجال الفكر المستنير وتبني نشر دراساتهم على مستوى واسع من المجتمعات الإسلامي.

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

1- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ط، بيروت، 1979، ج2.

2- ابن منظور، لسان العرب، مج 2، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1955.

3- أبو البقاء، الكليات، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، ،(د. ط)، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1419هـ- 1998.

4- أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، (د. ط)، دار الفكر، بيروت، 1399هـ- 1979م، ج4.

5- أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م.

6- أحمد العزري، تلقي التفكيكية في النقد العربي الحداثي، تحت إشراف: مصطفى درواش، جامعة مولود معمري- الجزائر، 2012م.

7- الإمام الحافظ أبي عيسى محمد الترمذي، الجامع الكبير، مج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، رقم 2676.

8- الإنسان والكون في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1995، د. ب.

9- برهان غليون، اغتيال العقل، د.ط.ت، دار التنوير، بيروت.

10- الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ط1، 2ج، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ج1.

11- جان بول سارتر عقول عظيمة، كاثرين موريس: ترجمة: أحمد بدوي، أفاق للطباعة، ط 1، 2011.

12- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة، عبد المنعم، ط1-1964.

13- جعيط، هشام، في السيرة النبوية (1)، الوحي والقرآن والنبوة، ط2، دار الطليعة، بيروت، 2000م.

ISSN : 2410-1818

14- جيمس جوردن،هابرماس مقدمة قصة قصيرة، ترجمة: أحمد محمد الروبي، مؤسسة عنداوي.

15- حسن حنفي، في مقدمة على رسالة في اللاهوت والسياسة، لا سبينوزا.

16- حنفي، حسن، من العقيدة إلى الثورة – محاولة لإعادة بناء علم أصول الدين، ط1، 5م، مدبولي، القاهرة، 1988م،ج4.

17- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب وتحقيق، د. عبد الحميد هنداوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003م.

18- خيرت حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، د.ط. دمشق:0221، اتحاد الكتاب العرب.

19- د. حميد النجدي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ط 2، مطبعة باقري دار الأنصار، 1428 هـ- 2007، ص 80

20- د. كمال المويل، الإعجاز الطبي في السنة النبوية، ط2، 1426هـ- 2005، دار ابن كثير، دمشق- بيروت.

21- د. ماهر محمد سالم، من الإعجاز الطبي في السنة المطهرة، ط1، 1427هـ- 2006،ص 42.

22- الرازي، مختار الصحاح، ترتيب محمد خاطر، ط1، دار الفكر، بيروت، 1421هـ- 2001م..

23- شحرور، محمد، الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة، دار الأهالي، دمشق.

24- الشيخ عبد المجيد الزنداني، بيانات الرسول(صلى الله عليه وسلم) ومعجزاته.

25- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.. ج4، 1999..

26- صحيح البخاري،نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ..

27- عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ط 01.

28- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998، د ط.

ISSN : 2410-1818

29- عبد المجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ط2، 2008، دار الطليعة، بيروت.

30- عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة. الدار التونسية للنشر، 1990، تونس.

31- عبد الوهّاب المسيري وفتحي التركي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، 2003، ط1.

32- عدنان علي رضا النحوي، تقويم نظرية الحداثة، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، 1992، ط 1.

33- عدنان علي، تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها، ط1414، 2هـ-1994م.

34- علي الفهدي، عبد الكريم، 1432هـ،

35- علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، 1413.

36- عليّ حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية- بيروت، ط1، 2005م،.

37- فلوبير، نصوص الصبا (قصص وتأملات)، ت: ماري طوق، ط 1، 2014، أبو ظبي.

38- كارم سيد غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم، ص 518- 521.

39- م.د. زهراء مهدي كاطع، عجائب القمر والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دراسات إسلامية معاصرة، العدد 32، حزيران 2022.

40- م.م. هاشم عبد الله طاهر الياسري، الإعجاز القرآني في آيات الطبيعة(دراسة تحليلية)، مجلة دراسات تربوية، العدد الحادي والعشرون، كانون الثاني 2013م.

41- مارتن لوثر (قصة قصيرة، سكوت اتش هندريس، ترجمة: كوثر محمود محمد، مؤسسة هنداوي، 2013.

42- محمد الشيكر، هايدغر وسؤال الحداثة، د ط، أفريقيا الشرق، 2006.

43- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج17.

44- محمد بلاسي، مواجهة الكوارث والأوبئة من خلال الهدي النبوي(جائحة كورونا أنموذجاً (https://albasulislami.com

ISSN : 2410-1818

45- محمد بلعفير، البنيوية؛ النشأة والمفهوم، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 15، المجلد 16، 2017م.

46- محمد بن حجر القرني، موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام(دراسة تحليلية).

47- محمد بن عبد الرؤوف الماوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ت: محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، دمشق، بيروت، 1410هـ.

48- محمد سبيلا، منارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009، بيروت.

49- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ت: فواز أحمد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ، ج2.

50- محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المحقق: رفيق العجم، علي دحروج، مكتبة بيروت ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996، مج1.

51- المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مرجع سابق،

52- منير البعلبكي، المورد، قاموس انكليزي عربي، ط3، 1970م، بيروت، لبنان.

53- موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن العظيم.

54- هشام الشرابي، "معنى الحداثة"، مقال أعيد نشره ضمن كتاب الحداثة دفاتر فلسفية، نصوص مختارة.

55- هيغل والهيغيلية، جان- فرانسوا كيرفغان، ترجمة: فؤاد شاهين، دار الكتاب الجديد، بيروت 2017.

56- يحي مصلح علي المسقري، الوحي القرآني في منظور القراءة الحداثية، 1438هـ- 2017، جامعة قطر.

57- يورغن هايرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، 1995، دمشق.

58- يوسف الخال، الحداثة في الشعر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ط 1.